

منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول إلى الضروري من الأصول" - دراسة وصفية تحليلية.

Al-Disi's approach to the systems of jurisprudence through his book "The Ladder of Access to The Necessary Assets" - An analytical descriptive study.

هدية العزاوي^{1*}، أ.د. نور الدين بوحزمة²

¹ جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، h.lazzaoui@univ-alger.dz

² جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية n.bouhamza@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/24 تاريخ القبول: 2022/11/21 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

إن أهمية التأليف في أصول الفقه لا تقل عن أهمية التنظير؛ من حيث صياغة مباحث علكم أصول الفقه إما نثراً أو نظاماً. ونظم أصول الفقه ما هو إلا توظيف للشعر في صياغة مضمون المباحث الأصولية. ولا يمكن تصور تأليف عشوائي لعلم هو أساس بناء الأحكام الشرعية.

ولذلك تتجلى أهمية الدراسة في الكشف عن وجود المنهج في التأليف النظري من خلال نظم "سلم الوصول" لمحمد بن عبد الرحمن الديسي الجزائري؛ وتوجيه النظر لاعتماد المنظومات الأصولية في الدراسات المنهجية لقيمتها العلمية في معالجة قضايا علم أصول الفقه. لأن الاشكال الذي طرح نفسه: هل أمكن للديسي نظم المباحث الأصولية على غير منهج أصلاً؟ أو على منهج غير واضح له تماماً؟. لتبين أهداف الدراسة المتمثلة في ادراك البنية المنهجية للتأليف النظري الأصولي، وبالتالي سد ثغرة في مجال الدراسات المنهجية للمؤلفات الأصولية التي تغفل تماماً المنظومات كمصدر من مصادر علم أصول الفقه. وللإجابة على الاشكالية المطروحة فقد قامت منهجية الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتطلب ملاحظة نظم "سلم الوصول" في بنائه الشكلي والمعرفي وطرحها للنظر بغية الكشف عن منهجه، الأمر الذي اقتضى انتظام الدراسة في مقدمة ومضمون يراعي تقديم قراءة معرفية لمفردات عنوان البحث وهي: (منهج، نظم، أصول الفقه).

واستعراض لأهم جوانب حياة الناظم والتعريف بنظمه، ثم استخلاص منهج الديسي في نظم أصول الفقه من حيث عرضه للموضوع وأسلوبه وترتيبه. ليختم العمل بخاتمة تضمنت أبرز النتائج المتوصل إليها. منها: أن التأليف النظري في أصول الفقه تأليف قائم بذاته يضاهي التأليف النظري، ورسم المنهج فمأداة عملية أساسية لتحقيق الدقة في مضمونه. ويكفي لتحقيق الجودة في التأليف النظري خدمة التراث الأصولي للمتقدمين والانطلاق منه في مواجهة تحديات العصر.

الكلمات المفتاحية: المنهج؛ الديسي؛ نظم؛ أصول الفقه؛ التأليف النظري

Abstract:

The importance of authorship in the fundamental rules of jurisprudence (Usul al-Fiqh) is not less important than theorizing for its investigations. The systems of jurisprudence are the employment of poetry in the formulation of fundamentalist investigations. In order to highlight the importance of the fundamentalist systems, the problematic of fundamentalist investigation systems has been raised without any method in the first place with the aim of understanding the methodological structure of regulatory writing in addressing the issues of the science of jurisprudence. By adopting the descriptive analytical approach of the “Ladder of Access” systems in its formal and cognitive structures, we will be starting with an introduction and then defining the vocabulary of the study title, Al-Disi and the “Ladder of Access”, a statement of his method, and finally a conclusion that highlights the most important results, among which the fact that the systematic composition is a self-contained one comparable to prose, and that drawing the curriculum contains an essential tool for achieving accuracy in its content.

Keywords: Method; Al-disi; Systems; Usul al-Fiqh; Regulatory writing.

مقدمة:

إنَّ معرفة أصول الفقه كعلم قائم بذاته لا يقتصر على الناحية المعرفية النظرية فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى الناحية الوظيفية له؛ كمنهج للاستدلال الفقهي يزود المجتهدين في استنباطهم للأحكام الشرعية بالقواعد والأصول التي تضبط وتوجه نظرهم الاجتهادي في فهم الكتاب والسنة فهما صحيحا، وتطبيقها على الواقع تطبيقا سليما، يحقق الغاية من تشريعها. ولأجل ذلك تابعت جهود العلماء عبر الزمن في خدمة علم أصول الفقه تنظيرا وتأليفا، ولا تقل أهمية التأليف عن التنظير في تحديد مباحثه وصياغة قواعده؛ إِمّا نثرا وهو الأعم الأغلب وإِمّا نظما.

ونظم أصول الفقه في هذا الجانب قسيم للتأليف الثري؛ إذ ليس النظم إلا توظيفا للشعر في صياغة وعرض المباحث الأصولية. ولا يتصور أبدا أن التأليف النظمي بهذا المقام مجرد تأليف عشوائي اعتباطي خال من الآليات التنظيمية التي تفرضها قواعد علم أصول الفقه بمبادئها الشرعية والعقلية واللغوية بغية صيانة مضمونه وتحقيق الدقة في نتائجه. أهمية الدراسة:

ولذلك تتجلى أهمية هذه الدراسة في الكشف عن وجود المنهج في التأليف النظمي من خلال نظم "سلم الوصول" للديسي بهدف استثماره في الدراسات الأصولية. وأيضا توجيه نظر طلاب الدراسات العليا والباحثين لاعتماد المنظومات الأصولية في الدراسات المنهجية لقيمتها العلمية في معالجة قضايا علم أصول الفقه. وكذا بيان مدى أصالة نظم "سلم الوصول" شكلا ومضمونا في تيسير ما اشتمل عليه كتاب "الورقات" للإمام الجويني (ت:478هـ) من مسائل أصولية في أبيات شعرية تعليمية تمثل إرثا علميا جديرا باعتماده في المقررات الدراسية وخلق العلم للمبتدئين.

طرح الاشكالية:

وبناء على ما ذكر فإنَّ الاشكال الذي يطرح نفسه؛ هل نظم الديسي للمباحث الأصولية قائم على غير منهج أصلا؟ أو على منهج غير واضح له تماما؟. بحيث يتفرع عن هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات:

- ما المراد بالمنهج في نظم أصول الفقه؟.
- من هو الديسي؟ وما نظم "سلم الوصول"؟.

- هل للديسي منهج قائم بذاته في نظم أصول الفقه؟ وإن كان كذلك فما منهجه في نظم "سُلم الوصول"؟ وما هي أبرز سماته؟.

الفرضيات:

وللإجابة على هذه الاشكالية المطروحة وما تفرع عنها من تساؤلات يُفترض أنه لا حاجة للمنهج في نظم أصول الفقه ابتداءً؛ لأنّ التّأليف النّظمي فرع عن التّأليف النّثري الذي يُغني الباحثين في علم أصول الفقه ومنهجه.

بالإضافة إلى أنّ نظم الديسي لأصول الفقه ما عساه أن يأتي بجديد وهو مسبوق بجهود من تقدّمه في هذا الشّأن.

أم أنّ غياب المنهج في نظم أصول الفقه خلل في التّأليف الأصولي حقيقة، لأنّ السّعي وراء التّناسق الجمالي للآبيات الشّعريّة وبحورها وقافيتها قد يؤدي إلى حذف مسائل أصولية هي من صُلب علم أصول الفقه، أو ربّما حشّوه بما ليس من موضوعه، أو حتى تفكيك بُنيّات وحدة مسائله ومباحثه. ولذلك لزم المنهج كأظهر مُعين على تفادي الخطأ في موضوع أصول الفقه شكلاً ومضموناً.

أهداف الدّراسة:

وهنا تبرز أهداف الدّراسة في إدراك البُنية المنهجية للتّأليف النّظمي الأصولي المتّجلي في نظم "سُلم الوصول" وإبراز قيمته وأهميته في توسيع مدارك الدّراسات الأصوليّة الحديثة إلى جانب التّأليف النّثري. وبالتالي سد ثغرة في مجال الدّراسات المنهجية للمؤلّفات الأصوليّة التي تَغفُل تماماً المنظومات كمصدر من مصادر هذا العلم.

الدّراسات السّابقة:

ولأهميّة كتابات الديسي فقد حظي بوجود كتابان ممّا له علاقة بهذا البحث من وجه ما؛ وهما: كتاب "منظومات أصول الفقه - دراسة نظرية وصفية -" لعبد العزيز عبد الله بن علي النملة، إذ تناول دراسة نظم "سُلم الوصول" في مبحث منظومات أصول الفقه بعد القرن العاشر الهجري فذكر تعريفا موجزا لنظم "سُلم الوصول" من حيث عدد أبياته وترتيبه، وترجمة مختصرة للنظام، ثم الجهود حول النّظم في اختصار شديد. والكتاب طبعته وزارة الأوقاف الكويتية ضمن سلسلة الوعي الإسلامي سنة 1433هـ - 2012م. أمّا الكتاب الثّاني فهو عبارة عن رسالة ماجستير بعنوان "محمد بن عبد الرّحمن الديسي ومنهجه في التّأليف - أعماله النّحوية نموذجاً -"

_____ منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول" دراسة وصفية تحليلية
وإن كانت هذه الدراسات بعيدة نوعاً ما عن دراستي لمنهج التأليف النظمي للديسي
إلا أنّ وجه التكامل معها أنّها لفتت النظر لأهمية نظم "سلم الوصول" في الدراسات
الأصولية في الكتاب الأول، وأهمية البحث في منهج التأليف للديسي في الكتاب الثاني.
منهجية الدراسة:

وللكشف عن مدى صحة واحدة من تلك الفرضيات المطروحة؛ فقد قامت منهجية
الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتطلب ملاحظة نظم "سلم الوصول" في بنائه
الشكلي والمعرفي وطرحها للنظر بغية الكشف عن منهج الديسي في نظم أصول الفقه، الأمر
الذي تطلّب حصر خطة العمل وانتظامها في ثلاثة مباحث أساسية بعد المقدمة، وهي:
المبحث الأول؛ وفيه قراءة معرفية في مفردات عنوان البحث، لأنّه لا يمكن تصوّر موضوع
البحث دون وجود تصوّر لمعاني مفرداته التي انطلق منها. ثمّ المبحث الثاني؛ وفيه ترجمة
لأهمّ جوانب حياة النّاظم وهو محمد بن عبد الرحمن الديسي الجزائري؛ أحد علماء القرن
الرّابع عشر هجري. بغية التعريف بشخصيته العلمية التي أثمرت آثاراً علمية رصينة منها؛
نظم "سلم الوصول" أنموذج هذا العمل البحثي. وكذلك التعريف بنظم "سلم الوصول"
من حيث؛ ضبط عنوانه، وسبب نظمه، وحجمه، وطبعاته، وأهميته، والدراسات عليه. ثم
المبحث الثالث؛ وفيه تمّ استخلاص سمات منهج الديسي في نظم أصول الفقه من حيث؛
عرضه للمادة الأصولية، وأسلوبه، وترتيبه. ليُختتم العمل البحثي بخاتمة تضمنت مُلخصاً
لمضمون البحث، وأبرز النتائج المتوصّلة إليها، وبعض الاقتراحات والتوصيات المتّصلة
بالموضوع، الذي يكفي فيه انطلاق الديسي في نظم "سلم الوصول" من أصالة التّراث العلمي
الأصولي للمتقدّمين وبعثه بما يلبي حاجة طُلاب عصره لعلم أصول الفقه.

المبحث الأول: قراءة في مفردات عنوان البحث:

إنّ عنوان البحث هو "منهج الدّيسي في نظم أصول الفقه" وبالتالي فهو مركّب من ثلاث مفردات أساسيّة، وهي؛ المنهج، والنظم، وأصول الفقه. الأمر الذي يستلزم بيان مفهوم هذه الكلمات المفتاحيّة التي يقوم عليها العمل البحثي لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: التعريف بالمنهج لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف المنهج لغة.

إنّ لفظ المنهج في المعاجم العربيّة اسم مفعول مشتق من الفعل الثلاثي (نهج) الذي له معنيان متباينان في اللّغة العربيّة : الأول: النّهج. ومعناه الطّريق، ومثله المنهج، والجمع مناهج. والآخر: الانقطاع. يقال: أتانا فلان ينهج، أي أتى مهوراً منقطع النّفس⁽¹⁾. وفي تاج اللّغة "النّهج: الطّريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج"⁽²⁾. فأضاف صفة الوضوح للطّريق. وفي لسان العرب التّنهّج والمنهج: الطّريق المستقيم⁽³⁾. فأضاف صفة الاستقامة للطّريق. وعليه فإنّ المنهج لغة هو الطّريق الواضح المستقيم.

ثانياً: تعريف المنهج اصطلاحاً.

للمنهج في الاصطلاح العلمي تعريفات كثيرة بحسب استعمالاته في مجالات مختلفة بدء بالطريقة التي يستعملها الباحث في بحثه عن الحقيقة في العلوم وصولاً إلى الطريقة التي يستعملها الطالب في تحصيله العلمي والتلميذ في تحصيله الدراسي⁽⁴⁾. ومن تلك التعريفات: تعريف المنهج بأنه: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة؛ إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين"⁽⁵⁾.

وتعريفه بأنّه "الأداة التي يستخدمها الباحث للوصول إلى غرضه أو غايته واكتشاف الحقيقة أو الوصول إلى المعرفة"⁽⁶⁾.

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة، (5/563).

(2) ينظر: تاج اللغة، (1/346).

(3) ينظر: ابن منظور، (2/383).

(4) العيسوي، منهاج البحث العلمي، ص(14).

(5) عبد الرحمن بدوي، منهاج البحث العلمي، ص(04).

(6) مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، ص(12).

_____ منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول" دراسة وصفية تحليلية
كما عُرِفَ بآته: "الطريقة أو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسة مشكلته
والوصول إلى حلول لها أو بعض النتائج"⁽¹⁾.

فهو بذلك طريقة منظّمة تحكم سير عمل الباحث في بحثه لتحقيق الغاية المرجوة
منه.

المطلب الثاني: مفهوم النّظم لغة واصطلاحاً:
أولاً: تعريف النّظم لغة.

لفظ النّظم لغة مصدر مشتق من الفعل الثلاثي (نظم) الذي يعني جمع اللؤلؤ وضمّ
بعضه إلى بعض في نظام واحد، وكذلك هو في كلّ شيء⁽²⁾.
وجاء في معجم مقاييس اللغة "التّون والظّاء والميم: أصل يدلّ على تأليف الشّيء"⁽³⁾.
ومثله في لسان العرب: النّظم: التّأليف، يقال: نَظَمْتُ اللؤلؤ، أي جمعته في سلك واحد.
وَنَظَمْتُ الشّعر نظماً فقد نظمته⁽⁴⁾.

وعليه فإنّ النّظم هو كلّ ما يتمّ تأليفه في سلك واحد، بحيث يضمّ بعضه إلى بعض
سواء كان حسيّاً كاللؤلؤ، أو معنوياً كالشّعر، فيكون بذلك طريقة من طرق تأليف الكلام.
غير أنّ ثمة فرق بين التّأليف والنّظم: لأنّ التّأليف يُستعمل فيما يؤلّف على استقامة أو على
اعوجاج، في حين أنّ النّظم لا يستعمل إلا فيما يؤلّف على استقامة⁽⁵⁾.
كما أنّ هناك فرق بين النّظم والشّعر، لأنّ "النّظم فهو الكلام الموزون المُقَفَّى. فإذا
امتاز النّظم بجودة المعاني وتخير الألفاظ ودقّة التعبير ومتانة السّبك وحسن الخيال مع
التّأثير في النّفس فهو الشّعر، لأنّ الشّعر حقيقته ما خلب العقل واستولى على العاطفة
واستهوى النّفس"⁽⁶⁾.

ثانياً: تعريف النّظم اصطلاحاً.

لنّظم اصطلاحاً معنى علمياً لا يبعد عن معناه اللّغوي وهو التّأليف. غير أنّ
لاستعماله بحسب ما يقتضيه مقام النّظم وأحواله: ثلاثة معاني:

⁽¹⁾ العيسوي، مناهج البحث العلمي، ص(13).

⁽²⁾ الأزهري، تهذيب اللغة، (14/280).

⁽³⁾ ينظر: الرازي، (343/5).

⁽⁴⁾ ينظر: ابن منظور، (12/578).

⁽⁵⁾ ينظر: معجم الفروق اللّغوية، ص(112).

⁽⁶⁾ ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، (1/44-45).

أ. معنى عام؛ وهو الذي يتعلّق بتأليف الكلام العربيّ عموماً. وقد عرّفه الجرجاني⁽¹⁾ بقوله: " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرّف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها. وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"⁽²⁾. وهو بذلك الكلام الذي يجري في نظمه على أصول النّحو وقواعده.

ب. معنى خاص؛ وهو الذي يتعلّق بتأليف ما يأتي في مقابلة النّثر من الكلام العربي. وفي ذلك قال ابن خلدون⁽³⁾: "اعلم أنّ لسان العرب وكلامهم على فئتين: في الشّعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى... وفي النّثر وهو الكلام غير الموزون"⁽⁴⁾.

وعليه فإنّ النظم بهذا المعنى هو: "الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة"⁽⁵⁾. وهو بذلك الكلام الذي يجري نظمه وفق نسق معيّن من أوزان البحور الشّعريّة. والشّعر هو "كلام مفصّل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن، متّحدة في الحرف الأخير من كلّ قطعة، وتسمّى كلّ قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً، ويسمّى الحرف الأخير الذي تتّفق فيه رويّاً وقافية، ويسمّى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة"⁽⁶⁾.

ج. معنى أخص؛ وهو الذي يتعلّق بنظم مباحث علم من العلوم النّظريّة كنظم مباحث علم الحديث أو الفقه وغيرهما، ولكل علم تعريف خاص بنظمه بحسب مضمون ذلك العلم.

واستثماراً للمعنى اللّغوي للنّظم، والمعاني الاصطلاحية له بحسب مقتضياته، يمكن تعريف النّظم الأصولي بأنّه "صياغة قواعد أصول الفقه على أحد بحور الشعر"⁽⁷⁾. بمعنى تأليف مباحث علم أصول الفقه وفق وزن من أوزان البحور الشّعريّة.

(1) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مجد الجرجاني، من أئمة اللغة، وواضع أصول البلاغة، من مؤلفاته "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" و"إعجاز القرآن" توفي 471هـ-1078م. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية (242/3)، الزركلي، الأعلام (48/4).

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص(63).

(3) هو عبد الرحمن بن مجد بن محمد بن الحسن ابن مجد بن جابر بن خلدون الأشبيلي نسباً، والتونسي مولداً، قاض ومؤرخ مالكي، من مؤلفاته: "تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي" و"ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر" في التاريخ، وتوفي بالقاهرة سنة 808هـ. ينظر: هدية العارفين (529/1).

(4) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ص(781).

(5) السيد أحد الهاشمي، جواهر الأدب، (40/1).

(6) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ص(784).

(7) منظومات أصول الفقه، ص(14).

ثالثاً: مفهوم أصول الفقه.

لقد درج علماء الأصول في تعريف أصول الفقه على مراعاة أمرين: أولاًهما: التركيب الإضافي لكلمة "أصول الفقه" والتي يتوقف فهم معناها الاصطلاحي على تعريف كل جزء من أجزائها المركبة منها، وهما: المضاف "أصول"، والمضاف إليه "فقه". وثانيهما: التركيب الإجمالي للكلمة؛ ويراد به تعريف أصول الفقه بوصفه العلم الدال على العلم المخصوص المسى "أصول الفقه". في حين يفيد صحيح النظر أن كلا التعريفين صادق على معناه بالاعتبارين معاً، لأنه مما تطابق فيه معناه حال التركيب الإضافي مع معناه حال التركيب الإجمالي من حيث أصل وضعه كمنهج للاستدلال الفقهي⁽¹⁾.

ولذلك استقر الرأي عند جمهور الأصوليين المتأخرين والمعاصرين على تعريف أصول الفقه بأنه "معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد"⁽²⁾. وهو تعريف تاج الدين الأرموي⁽³⁾ الذي بين أن مجال البحث في أصول الفقه ينحصر في معرفة ثلاثة أمور قد اشتمل عليها التعريف وهي:

الأدلة من حيث الإجمال؛ ككون الكتاب والسنة والإجماع والقياس حجة، وأن مطلق الأمر للوجوب، ومطلق النهي للتحريم. احتراز عن علم الفقه وعلم الخلاف، الذي يبحث فيهما عن الأدلة من جهة دلائلها على مسألة معينة.

كيفية الاستفادة الأحكام الفقهية من تلك الأدلة؛ وذلك يستلزم معرفة قواعد الاستدلال كتقديم الخاص على العام، والنص على الظاهر، والمتواتر على الأحاد. معرفة صفة المستفيد؛ وهو المجتهد الذي يستفيد الأحكام الشرعية من الأدلة، والمقلد الذي يستفيدها من المجتهد⁽⁴⁾.

وبهذا يتبين أن المراد بمنهج الديسي في نظم أصول الفقه طريقته في عرض مباحث أصول الفقه وفق أوزان الشعر العربي، من حيث ذكر تعريفات المصطلحات الأصولية، والتّمثيل للمسائل، وحكاية الخلاف في جزئيات بحثه المختلف فيها، وصياغة أسلوبه، وترتيبه للنظم وللموضوعات الأصولية والمسائل.

(1) السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، (19/1).

(2) الإبهاج، المرجع نفسه (19/1)، الإسنوي، نهاية السؤل، ص(07).

(3) هو: محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموي، من علماء الشافعية في أصول الفقه والمنطق، من مؤلفاته: "مطالع الأنوار" في المنطق، و"التحصيل من المحصول" في الأصول، توفي 594هـ-1283م. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (5/155)، الزركلي، الأعلام (7/166).

(4) ينظر: الإسنوي، نهاية السؤل، ص(10-9).

المبحث الثاني: التعريف بالنّاظم والنّظم وأهميّته:

قبل التّطرق لمنهج الدّيسي لزم التّعريف بالنّاظم كأساس وجود المنهج محور الدّراسة والتّعريف بنظم "سلم الوصول" كأساس العيّنة المخبرية التي سيُجرى عليها العمل البحثي وبيان أهميّة النّظم في الدّراسات الأصوليّة.

المطلب الأول: التعريف بالنّاظم.

أولاً: الحياة الشّخصيّة للدّيسي:

أ. اسمه ومولده: هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الطّيب بن عبد القادر بن أبي القاسم محمد بن ابراهيم الشّريف الهاملي⁽¹⁾. ولد سنة 1270 هـ الموافق لسنة 1854 م بقرية الديس إحدى قرى مدينة بوسعادة بولاية المسيلة بالقطر الجزائري⁽²⁾، وإليها نسبته بالدّيسي كما اشتهر بمحمد بن عبد الرحمن الدّيسي اختصاراً لاسمه.

ب. وفاته. بعد رحلة من العطاء العلمي انتقل الدّيسي إلى الرّفيق الأعلى بزاوية الهامل يوم 22 من ذي الحجة سنة 1339 هـ الموافق لـ 17 أوت 1921 م. وعمره تسع وستون سنة، ودُفن بالقبة التي داخل الزاوية رحمة الله عليه⁽³⁾.

ثانياً: طلب الدّيسي للعلم ونشره:

أ. طلب الدّيسي للعلم: استهل الدّيسي طلبه للعلم بكتاب قريته فحفظ القرآن الكريم كاملاً، وأتقن أحكامه على القراءات السبع. كما أخذ قسطاً من مبادئ العلوم العربيّة. ثم انتقل إلى زاوية ابن أبي داود بمنطقة زواوة، فنال إجازة علمائها في علم التوحيد والفقه والنحو والبلاغة. كما حضر دروس الشيخ حمدان الونيسي⁽⁴⁾ بقسنطينة. ثم عاد إلى قريته الديس، فلازم حفظ المتون العلمية كمختصر خليل في الفقه، وجمع الجوامع في أصول الفقه، والألفية، والأجرومية في النحو وغيرهم كثير⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الكتاني، فهرس الفهارس، (10/1)، البغدادي، هدية العارفين، (392/2).

(2) ينظر: عمر بن قينة، الديسي حياته وأثاره وأدبه، ص(13).

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص(26).

(4) هو أحد أشهر علماء الجزائر في اللغة والفقه، كان موظفاً رسمياً في التّعليم المسجدي إبان الاستعمار الفرنسي، هاجر إلى المدينة النبوية نفياً من السلطات الاستعمارية وتوفي بها بعد سنة 1912 م. ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، (133/3)، عمار طالي: آثار ابن باديس، (74/1).

(5) ينظر: عمر بن قينة، الديسي حياته وأثاره وأدبه، ص(13).

_____ منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول" دراسة وصفية تحليلية
 ب. نشر الديسي للعلم. في سن الثالثة والثلاثين من عمر الديسي تولى مهمة التدريس
 بالزاوية القاسمية، وانقطع للعبادة والتأليف، ومجالس العلم لإفادة طلابه بما حباه الله
 من علم اللغة العربية والعقيدة والتفسير والحديث والفقه وأصوله، ولم يكن لطلبته
 يومئذ في منطقته مورد سواه، واستمر على تلك الحال إلى أن وافته المنية وانتقل إلى
 رحمة الله⁽¹⁾.

ثالثاً: آثار الديسي العلمية.

لقد عرف الديسي بهمة عالية في التدريس وكذلك هو في التأليف، ومن أبرز آثاره
 العلمية الكثيرة:

- عقد الجيد؛ منظومة في العقائد وشرحها بشرح سماه "الموجز المفيد".
 - سلم الوصول إلى الضّروري من الأصول؛ منظومة في أصول الفقه وهي قيد هذه
 الدراسة، وقد شرحها بشرح مفيد سماه "النصح المبذول لقراء سلم الوصول".
 - ديوان منة الحنان المنان؛ وهو ديوان شعري ضمّنه أكثر من أربعة آلاف بيت شعري في
 علوم مختلفة. منها؛ منظومات في الفقه والنحو ومدح النبي ﷺ وغيرهم⁽²⁾.
- المطلب الثاني: التعريف بنظم "سلم الوصول".

أولاً: عنوان النّظم، وسبب نظمته.

أ. عنوان النّظم: إنّ عنوان النّظم هو "سلم الوصول إلى الضّروري من الأصول"، ولا خلاف
 في ذلك لأنّ الديسي صرّح بهذه التسمية في مطلع النّظم، فقال:

سمّيته بسلم الوصول إلى الضّروري من الأصول⁽³⁾.

كما بيّن سبب تسميته بذلك في الشّرح، بأنّه اختار تسميته بالسلم تفاؤلاً للتّوصل به من
 صغار فن علم أصول الفقه إلى مطوّلاته، والضّروري إلى ما تدعو الضّرورة إلى معرفته
 وتمسّ الحاجة إلى تعلّمه من مسائل أصول الفقه التي لا غنى لطالب العلم عن معرفتها⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ص(400/401)، عمر بن قينة، الديسي حياته وآثاره وأدبه، ص(13)، الديسي، سلم
 الوصول، ص(09).

(2) ينظر: الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ص(400-407).

(3) ينظر: سلم الوصول، المرجع السابق، ص(29).

(4) ينظر: الديسي، النصح المبذول، ص(36).

ب. سبب نظم "سلم الوصول": إِنَّ الباعث على نظم الديسي لأصول الفقه ينحصر في سببين: أحدهما مباشر؛ وهو تلبية طلب بعض أحبته من الأصدقاء المقربين له ابتغاء الأجر والثواب⁽¹⁾، فقال:

وفق إشارة من الأجباً ***** أجعله ذخيرة للعقبى⁽²⁾.

وثانئهما سبب غير مباشر؛ وهو انتظام جُلِّ مسائل أصول الفقه ممّا اشتمل عليه كتاب "الورقات في أصول الفقه" للجويني⁽³⁾ أحد أئمة الشافعية المتوفى سنة 478هـ، وقد صرح الديسي بذلك في مطلع النظم فقال:

وبعد فالمقصود نظم شذرات ***** ممّا تضمّنه كتاب الورقات⁽⁴⁾.

كما صرح بذلك في مقدمة شرحه للنظم بقوله: "من الله علي بتيسير نظم سلم الوصول المشتمل على جلّ ورقات إمام الحرمين"⁽⁵⁾.

كما كان رجاء الديسي من نظم "سلم الوصول" هو أن تنتفع به الأمة الإسلامية جمعاء كما نفع الله بمتن الورقات أمة من الناس فقال:

وأسأل النفع به كالأصل ***** فإنّه جلّ جزيل الفضل⁽⁶⁾.

ثانياً: حجم نظم "سلم الوصول"، وطبعاته.

أ. حجم النظم: لقد تميّز نظم "سلم الوصول" بالتوسط في الحجم، فليس هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وإن كان يصنّف كأقصر نظم للورقات إذ لا تتعدى أبياته 99 بيتاً. وعن ذلك قال الديسي:

أبياته تسع وتسعون على ***** عدد أسماء إلها علا⁽⁷⁾.

(1) وقد صرح في موضع الشرح بأن من طلب منه ذلك هو محمد الشريف ابن أستاذه محمد بن أبي القاسم. ينظر: الديسي، النصح المبذول، ص(37).

(2) ينظر: سلم الوصول، ص(29).

(3) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، لُقّب بإمام الحرمين، فقيه أصولي من علماء الشافعية، من مؤلفاته: "البرهان" و"الورقات" في أصول الفقه، و"نهاية المطلب في دراية المذهب" في فقه الشافعية، توفي 413هـ-1085م. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى(249/3)، الزركلي، الأعلام (4/160).

(4) ينظر: سلم الوصول، ص(29).

(5) ينظر: الديسي، النصح المبذول، ص(31).

(6) ينظر: سلم الوصول، المرجع السابق، ص(29).

(7) ينظر: سلم الوصول، ص(37).

_____ منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول" دراسة وصفية تحليلية

وهذا من مزايا نظم "سلم الوصول" فلربما لو طالت أبياته لكان متن الورقات أيسر منه في الحفظ والمذاكرة. وقد علق الديسي على ذلك بقوله: "ووافق عدده عدد أسماء الله تعالى، فرجا لهذا السرّ الإتفاقي بلا قصد النفع به إن شاء الله تعالى"⁽¹⁾.

ب. طبعات النّظم: إنّ النّسخة المخطوطة لنظم "سلم الوصول" قد ضمّها ديوان "منّة الحنان المنان" للديسي وهي موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم (3233). وقد طبع النّظم عدة طبعات عبر فترات من الزّمن: أولاهما؛ بمطبعة دار المجتمع للنّشر والتّوزيع، سنة 1414هـ - 1994م، في مؤلّف خاص مفردا ومجردا عن الشرح بعناية عبد الرّحمن السّنوسي الجزائري.

وثانيتها: بمطبعة دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1440هـ - 2019م. ويليه شرحه المسمى "النصح المبذول لقراء سلم الوصول"، من جمع واعداد وتحقيق محمد شايب شريف الجزائري.

ثالثا: أهمية نظم "سلم الوصول"، والدراسات عليه.

أ. أهمية نظم "سلم الوصول". إنّ الأهمية العلمية لنظم "سلم الوصول" يمكن حصرها في أمرين اثنين؛ الأول: أهمية العلم الذي نظمه الديسي وهو علم أصول الفقه الذي هو أساس البناء الفقهي أثرا ونظرا. ونظم الديسي لأصول الفقه يعني حفظ هذا العلم وتسهيل استحضار مسائله بأفضل طرق التّأليف والآداء، ويكفيه ذلك أهمية. والأمر الثاني: أهمية المتن النثري الذي نظمه الديسي وهو متن الورقات الذي جمع فيه مؤلفه الجويني مهمّات علم أصول الفقه بما ينفع المبتدئ في طلب هذا العلم ويذكر المنتهي فيه. وإن كان الديسي مسبقا في هذا الأمر بعدة منظومات لمتن الورقات؛ سيما نظم العمريطي⁽²⁾ له في كتاب أسماه "تسهيل الطّرقات في نظم الورقات"، ونظم الكُنْثي في كتاب أسماه "منح الفعال في نظم ورقات أبي المعال"⁽³⁾، والكتابان مطبوعان وهما الأكثر تداولاً بين أهل العلم. إلّا أنّ أهمية نظم "سلم الوصول" تكمن في إعادة بعث متن

(1) ينظر: الديسي، النصح المبذول، ص (91).

(2) هو يحيى بن نور الدين أبي الخير بن موسى العثري فقيه أصولي من علماء الشافعية، له عدة منظومات، منها: "الدرة البهية في نظم الأجرومية" و "نهاية التدريب في نظم غاية التقريب" في فقه الشافعية، و "تسهيل الطرقات في نظم الورقات" في أصول الفقه، توفي 989هـ-1581م. ينظر: البغدادي، هدية العارفين (529/2)، الزركلي، الأعلام (174/8).

(3) هو محمد بن المختار بن أحمد، بن أبي بكر الكُنْثي، فقيه مالكي مؤرخ، من مؤلفاته: "هداية الطلاب" في الفقه المالكي، و "جذوة الأنوار في الذب عن مناصب أولياء الله الأخيار"، توفي 1854م. ينظر: الزركلي، الأعلام (92/7).

الورقات في القرن الرابع عشر هجري بما يخدم هذا العصر علميًا وفنيًا، فحاز بذلك شرف الاستفادة من علم المتقدمين وتسهيل علم أصول الفقه على المتأخرين، وفي ذلك اثرًا للمكتبة الأصولية عموماً والجزائرية خصوصاً بتأليف نظمي يقوّي صلة الحاضر بالماضي، ويدعمه بما يحقق الفائدة منه.

ب. دراسات على النّظم. لقد شهد نظم "سَلَم الوصول" بعض الدّراسات العلميّة من أبرزها؛ قيام الديسي نفسه بوضع شرح عليه أسماه "النّصح المبذول لقراء سَلَم الوصول" تيسيراً لعلم أصول الفقه على المبتدئين واستكمالاً لفوائده، وهو القائل: "لما منّ الله عليّ بتيسير نظم ورقات إمام الحرمين، استخرت الله تعالى في أن أضع عليه شرحاً مختصراً سهلاً، يوضح مقاصده ويكمل فوائده، محبة في العلم، ونصحاً للمتعلمين، وخدمة لشريعة سيّد الأوّلين والآخرين"⁽¹⁾.

كما لقي عناية التّهذيب على يد عبد الله بن نجاح آل طاجن في كتاب أسماه "تهذيب سَلَم الوصول إلى الضّروري من الأصول". بحيث تجلّى عمله داخل النّظم حسب ما أفاده كلامه تعليقا على النّظم؛ في وضع ما قام بهذيبه بين قوسين مستطيلين بهذا الشكل [...]. وتعديل الأبيات التي رأى أنّها تخالف معتقد أهل السّنة والجماعة مخالفة صريحة، والعمل على استبدالها بغيرها، مع وضعها بين قوسين مستطيلين أيضاً. كما أُرْدِف النّظم بهامش صغير بيّن فيه أصل بعض الكلمات والمراد من بعضها وصنيعه في النّظم⁽²⁾. وهو عمل يشكر عليه صاحبه، وكان يكفيه ذكر تعديلاته كملاحظات في مقدمة تهذيبه أو في خاتمته، لأنّ هذا التّهذيب أدخل في المتن ما ليس منه، ممّا جعله لا يغني عن الرجوع إلى المتن طلباً للأمانة والسّلامة علمياً ومنهجياً.

هذا وإنّ نظم "سَلَم الوصول" جدير حقيقة بالاهتمام واعتماده في الدّراسات الجامعيّة والبحوث الأكاديميّة لأهميّته المشار إليها سلفاً، ولما امتاز به من خصائص منهجية في تأليفه لأصول الفقه في نظمه.

(1) ينظر: الديسي، النصح المبذول، ص (31).

(2) ينظر: رابط الموضوع: <https://www.alukah.net/sharia/0/61593/#ixzz79dCdjm1>

_____ منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول" دراسة وصفية تحليلية

المبحث الثالث: منهج الديسي في نظم "سلم الوصول".

قد تبين مما سبق أنّ الديسي قد اختار طريقة النظم في تأليف أصول الفقه، ولا يخفى أنّ للنظم خصوصية في التأليف عن غيره من النثر، كما أنّ لكل نظم خصوصية في التأليف عن غيره من المنظومات، أبرزها في كيفية عرض المادة العلمية والأسلوب والترتيب؛ وهي دعائم ثلاث تمثل الخصوصية المنهجية لكل ناظم في نظمه⁽¹⁾.

المطلب الأول: منهج الديسي في عرض الموضوع.

إنّ طريقة عرض مضمون العلم دور أساسي في الإقبال عليه أو رفضه، وكذلك في مدى هضم مسائله وفهمها أو جهلها والاعراض عنها، ولذلك كان للديسي خطة منهجية سار عليها في عرض أصول الفقه تتمثل في الآتي:

أولاً: انتخاب بحر الرجز قالباً للنظم.

لقد اختار الديسي لعرض المادة العلمية لأصول الفقه قالب الرجز الذي تميّز بكونه أحاديّ التفعيلة يقوم بناؤه الشعري على تكرار "مُسْتَفْعِلُنْ"؛ ومنه ضابط بحر الرجز قولهم:

في أبحر الأرجاز بحرٌ يسهُلُ *** مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُ

ومثال الرجز في نظم الديسي الذي تم اختيار أبياتاً منه بطريقة تلقائية لاكتشاف بحره.

أ. قوله في بحث "انقسام العلم الحادث إلى ضروري ونظري":

إنّ ضروري العلوم ما استقر *** بلا دليل وبلا سبق نظر⁽²⁾.

تقطيع البيت: إنَّ ضرور / ر لعلو / م مُستقر *** بلا دلي / لِن وبلا / سبق نظر

رموز التفعيلة: 0//0/ - 0//0/ - 0//0// *** 0//0/ / - 0//0/ - 0//0/

تفعيلة البيت: مُسْتَعِلُنْ - مُسْتَعِلُنْ - مُتَفْعِلُنْ *** مُتَفْعِلُنْ - مُسْتَعِلُنْ - مُسْتَعِلُنْ

ب. قوله في بحث الأمر والنهي:

والأمر بالمشروط للشرط اقتضى *** كالطهر والصلاة فادر الاقتضا⁽³⁾.

تقطيع البيت: ولأمر بل / مشروط ليش / شرط اقتضى *** كطهر وص / صلاة قد / ر لقتضا

رموز التفعيلة: 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/ *** 0//0/0/ - 0//0/0/ - 0//0/0/

تفعيلة البيت: مُسْتَفْعِلُنْ - مُسْتَفْعِلُنْ - مُسْتَفْعِلُنْ *** مُسْتَفْعِلُنْ - مُتَفْعِلُنْ - مُتَفْعِلُنْ

(1) ينظر: رابط الموضوع: <https://www.alukah.net/sharia/0/61593/#ixzz79dCdjmn1>.

(2) ينظر: سلم الوصول، ص(30).

(3) ينظر: سلم الوصول، ص(31).

هذا وقد اجتمعت في نظم الديسي أكثر من قافية، على عادة بحر الرّجز الذي يجوز أن تجتمع فيه كثير من القوافي.

وأهمية اختيار الديسي لقالب الرّجز في نظم "سلم الوصول" وتعدد قافيته؛ كونه أقلّ أنواع الشعر تكلفاً في صياغة موضوعات العلم، وأسهلها حفظاً في الصدور، وهذا دليل على عنايته بمضمون علم أصول الفقه أولاً ثم بمبنى النّظم ثانياً دون اهمال لهذا الأخير، وهو بذلك قد وفق في اختيار بحر الرّجز قالبا للنّظم لأنّه منهج أكثر العلماء في نظم العلوم والمعارف وعمدة المنظومات الأصوليّة عند المتقدمين.

ثانياً: إيراد التعريفات.

يلاحظ في نظم الديسي أنّه لا يذكر مسألة من مسائل أصول الفقه إلّا وقام برسم تصوير لماهيتها، إمّا تصريحاً أو تعريضاً.

أ. أمثلة تصريحه بذكر التعريف: إيراد عناوين صرّح فمهما بقصده في تعريف المسألة. وأولاهما؛ قوله: "تعريف أصول الفقه" ثم عرّفه بقوله:

أما أصول الفقه فالاستدلال *** بطرقه على سبيل الاجمال⁽¹⁾.

وثانيهما؛ قوله: "تعريفات الأحكام السبعة" ثم قام بتعريف الأحكام الشرعية السبعة واحدة واحدة باعتبار ما يترتب عليها من أثر. كقوله في تعريف الواجب والتّنب والمباح:

الواجب الذي ترتّب الثّواب *** بفعله وتركه به العقاب

والتّنب ما الثّواب فيه صاح *** وينتفي الأمان في المباح⁽²⁾.

ب. أمثلة ذكره للتعريف تعريضاً: وهو كثير في النّظم؛ ومثاله قوله في تعريف النّسخ:

النّسخ رفع حكم سابق الخطاب *** بالحق وجائز نسخ الكتاب⁽³⁾.

وقوله في تعريف الحقيقة والمجاز:

أما الحقيقة فلفظ ما انتقل *** عن وضعه ثمّ المجاز ما نُقل⁽⁴⁾.

وهكذا كان الديسي يقدّم تعريفات للقضايا الأصوليّة ليُمكن من تصورها وفهم

حقيقتها.

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص(29).

(2) ينظر: سلم الوصول، ص(30).

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص(33).

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص(31).

_____ منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول" دراسة وصفية تحليلية

ثالثا: التمثيل للمسائل الأصولية.

لقد ذكر الديسي أمثلة لبعض المسائل الأصولية في نظم "سلم الوصول" وإن كان قليلا؛ إلا أنه موجود من الحسن والعقل واللغة والفقه لزيادة بيان عند الحاجة ومن ذلك: تمثيله للضروري من العلوم بالحسن والعقل في قوله:

كحاصل بالخمسة الحواس *** أو بالتواتر ككون فاس⁽¹⁾.

وتمثيله لمفهوم النص باللغة في قوله:

أخذ من منصّة العروس *** كُرسِيها المعدّ للجلوس⁽²⁾.

وكذلك تمثيله للأمر بالفروع الفقهية في قوله:

والأمر بالمشروط للشرط اقتضى *** كالطهر والصلاة فادر الاقتضا⁽³⁾.

فيلاحظ أنّ الديسي مثل للمسائل الأصولية بما يُجلبها لفهم من الحسن والعقل واللغة العربية والفقه.

رابعا: حكاية الخلاف والراجح في المسألة.

لم يغفل الديسي مواطن الخلاف في بعض جزئيات المسائل بين علماء الأصول فأشار إلى ذلك تارة، كما رجح بعضها عن بعض تارة أخرى، ومن أمثلة ذلك: قوله في مبحث الحظر والاباحة:

اختلفوا في الأصل في الأشياء فقل *** الحظر إلا ما أباحه الدليل

وقيل إنّ أصلها الإباحة *** وقيل بالوقف وفيه راحة⁽⁴⁾.

وأيضاً قوله في مسألة التصويب والتخطئة:

وفي الفروع واحد مصيب *** وقيل كل باذل مصيب

أما أصول الدين فالمصيب لا *** يكون إلا واحداً قد كمالاً⁽⁵⁾.

وكذلك ذكره الراجح في مسألة حجّة الاجماع السكوتي بقوله:

يكون بالأقوال والأفعال *** وبالسكوت في أصحّ قال⁽⁶⁾.

(1) ينظر: المرجع نفسه ، ص(30).

(2) ينظر: المرجع نفسه ، ص(32).

(3) ينظر: المرجع نفسه ، ص(31).

(4) ينظر: سلم الوصول ، ص(35).

(5) ينظر: المرجع نفسه ، ص(36).

(6) ينظر: المرجع نفسه ، ص(34).

وهنا يلاحظ أنّ الدّيسي ورغم أنّه تبنى منهج الجمهور في نظمه؛ من خلال تقرير المبادئ الأصوليّة تقريراً نظرياً مجزّداً عن الفروع الفقهيّة، إلّا أنّه تميّز ببُعده عن الاغراق في القضايا اللّغوية والمنطقيّة والكلاميّة في ذكر التعريفات والتّمثيل للمسائل الأصوليّة والإشارة لمواطن الخلاف.

المطلب الثاني: منهج الدّيسي في الأسلوب.

إنّ الأسلوب في التّأليف هو طابع الكلام وطريقته التي انفرد بها المتكلّم في مؤلّفه⁽¹⁾. وإنّ أبرز ما تميّز به نظم "سلم الوصول" من حيث الأسلوب ما يأتي:

أولاً: الإيجاز والبيان:

أبرز ما يلاحظ على نظم الدّيسي أنّه قليل الألفاظ، جمع فيه الدّيسي كثيراً من المعاني، في عبارات وأبيات قليلة. فكان مختصر الألفاظ تام المعاني ملبياً لحاجة طلبة العلم المبتدئين من حيث وضوحه وسهولة ادراك معانيه. غير أنّ نظمه يحتاج إلى شرح وتفصيل لبعض جزئيات المسائل، ودليل ذلك ما وضعه الدّيسي نفسه من شرح على نظمه لاستكمال فوائده وتبَيّة بيان مقاصده، لكنه مع ذلك لا يحتاج إلى توضيح لأنّه خال من الغموض والتّعقيد ولا تكتنفه صعوبة في فهم مُراد.

ثانياً: سهولة اللفظ وحسن العبارة.

إنّ الدّيسي وإن كان قد قام بجمع أمّهات المسائل الأصوليّة في أبيات قصيرة، إلّا أنّها وردت في معظمها بألفاظ مألوفة وعبارات سهلة متداولة، ومن ذلك قوله في شروط النّسخ:

وينسخ القرآن بالقرآن *** وسنة بسنة سيان

وينسخ الكتاب سنة وقد *** اختلفوا في عكسه لكن ورد

وينسخ الأحاد بالأحاد *** والمتواتر بلا انتقاد

ومتواتر بمثله نسخ *** لا بالأحاد قال هذا من رسخ⁽²⁾.

فيلاحظ مدى سهولة اللفظ، وعدم غرابته، وتسلسل العبارات في هذه الأبيات بحيث يمكن قراءتها وفهمها دون تكلف، وحفظها واسترجاعها دون عناء. وهي ميزة تحسب لنظم الدّيسي على غيره وتكسبه إضافة جديدة وهي البعد عن التكلف والتّعقيد.

(1) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (303/2).

(2) ينظر: سلم الوصول، ص(33).

ثالثاً: دقة المعنى وجمال التعبير:

فبالإضافة إلى ما سبق فإنّ الديسي قد أولى للمعنى أهميّة كبيرة في نظمه؛ حيث اقتصر على بيان المسائل الأصوليّة وحقائقها مجردة عن الخيال أو العاطفة ليكون بذلك نظاماً علمياً يقدّم معلومات دقيقة متنوّعة يمكن البناء عليها دون خطأ، كما تحفظ موضوع علم أصول الفقه للأجيال دون تحريف. ومن ذلك قوله في المجمل والبيان:

المجمل المحتاج للبيان *** يكون في السنّة والقرآن

بيانه الاخراج للجلاء *** من حيّز الإشكال والخفاء⁽¹⁾.

وإضافة إلى ذلك يلاحظ في هذه الأبيات وغيرها مدى التآلف بين إيراد المعاني دقيقة وجمال التعبير في الصياغة بطريقة تجعل النظم سهلاً لتصور مسائله في الذهن، وحفظها واستحضارها عند الحاجة.

وهي ميزة جديدة لهذا النوع من التأليف جمع فيه الديسي بين العمق العلمي في نظم أصول الفقه والجمال الفني في التعبير اقراراً لمبدأ الانسجام بين لغة العلم والأدب في نظم العلوم. وهو أمر ليس بجديد على الديسي الذي له عدة منظومات في العلوم واللغة والأدب. **المطلب الثالث: منهج الديسي في الترتيب.**

إنّ المراد بالترتيب في التأليف تقسيم الكتاب وتصنيف مادته العلمية بطريقة منهجية تعين الطالب على ادراك مضمونه والاستفادة من علمه⁽²⁾. وللديسي في نظمه منهج في ترتيبه يتجلى في ثلاثة نقاط هي كالآتي:

أولاً: مراعاة التسلسل المنطقي لنظم "سلم الوصول".

ويظهر ذلك في الترتيب المهيج الذي تجلّت فيه محاور النظم وهي:

مقدمة: تحدّث فيها الديسي عن عنوان النظم وسبب تأليفه.

مضمون: وقد اشتمل على بيان مدلول بعض المصطلحات الأساسية في أصول الفقه، كتعريف أصول الفقه، والأحكام التكليفية، وانقسام العلم الحادث وأقسام الكلام. وذكر القواعد الأصوليّة المتعلّقة بدلالة الألفاظ؛ كالحقيقة والمجاز والأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل والمبين والنص والظاهر، وذكر بعض الأدلة الشرعية كمبحث الأخبار،

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص (32).

(2) الجويني، البرهان في أصول الفقه، (1/ 214).

والإجماع والقياس والاستصحاب. وما يلحق بمبحث الأدلة من النسخ والتعارض والترجيح. وشروط من يستدل بها وهي صفة المفتي والمستفتي والاجتهاد. خاتمة: ختمها بالحمد والصلاة على النبي وآله وصحبه وذكر سنة الفراغ من نظمه وهي سنة 1308هـ فقال:

أختمه بالحمد والصلاة *** على النبي سيّد السّادات.
وآله وصحبه الأئمّة *** وتابعيهم من جميع الأمّة.
عام ثمانٍ وثلاث مائة *** من بعد ألف قد مضت للهجرة⁽¹⁾.

وبناء على ذلك فإنّ عمليّة ترتيب المادة العلميّة عند الديسي كانت حاضرة في نظم "سلم الوصول" في تسلسل منطقي ممنهج يقود السّابق منه إلى اللاحق. ثانيا: مراعاة موضوع أصول الفقه.

يلاحظ أنّ ترتيب الموضوعات الأصوليّة في نظم "سلم الوصول" يتمحور أساسا حول الأدلة وطرق الاستدلال، والمجتهد، وهي عين موضوع أصول الفقه، بحيث يمكن ادراج مضامين الموضوعات الأصوليّة بحسب موقعها في النّظم وفق التفصيل الآتي: مدخل: استهله الديسي بأربع أبيات أثرها لتعريف أصول الفقه، القواعد الأصولية المتعلّقة بالحكم الشرعي: وفيه تناول تعريف الأحكام الشرعيّة السّبعة؛ وهي الوجوب والنّدب والمباح، والحرام، والمكروه، والصّحيح، والباطل. مراتب الادراك: وفيه تناول انقسام العلم إلى ضروري ونظري، وتعريف كلّ وبيان الشكّ والظنّ. القواعد الأصولية المتعلّقة بدلالة ألفاظ؛ وفيه تناول: أقسام الكلام؛ والحقيقة والمجاز وأقسامهما، وبحث الأمر والنهي والذي يدخل في الخطاب وما لا يدخل. وبحث العام وألفاظ العموم، وبحث التّخصيص، والمجمل والمبين، والنّص والظاهر. القواعد الأصوليّة المتعلّقة بأفعال الرّسول ﷺ، والنّسخ، والتّعارض. الأدلة الشرعيّة: وفيه تناول بحث الاجماع، والأخبار، والقياس. ترتيب الأدلة: وفيه تناول بحث الحظر والاباحة، والاستصحاب، والترجيح. خاتمة: تناول فيها صفة المفتي والمستفتي، وبحث الاجتهاد⁽²⁾.

(1) ينظر: سلم الوصول، ص(37).

(2) ينظر: الديسي، سلم الوصول، ص(29-37).

_____ منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول" دراسة وصفية تحليلية والجدير بالملاحظة هنا أنّ هذا التّرتيب للديسي في نظم "سلم الوصول" قد وافق ترتيب الجويني للموضوعات الأصوليّة في متن "الورقات" وإن دلّ ذلك على شيء فهو يدل على قصد الديسي إلى حفظ مادة المتن تسهيلا لإدراك مسائل علم أصول الفقه على ما هي عليه في "الورقات".

ثالثا: مراعاة الارتباط بين المسائل الأصوليّة.

إنّ عملية ترتيب المسائل الأصوليّة في النّظم وإن كانت لا تكاد تختلف كثيرا عن ترتيبها في متن الورقات إلا أنّ للديسي نظر في ترتيب بعضها إمّا تقديمًا عن طريق الجمع بين بعض المسائل في بحث واحد أو تأخيرًا عن طريق الفصل بين بعض المسائل وبحثها في موضعين منفصلين ومن ذلك:

- الجمع بين مبحث الأمر والنهي في "بحث الأمر والنهي" والتي بحثها الجويني في موضعين يفصل بينهما مبحث "من يدخل في الأمر والنهي ومن لا يدخل".
 - الجمع بين قول الصحابي والأخبار في بحث الأخبار والتي بحثها الجويني في موضعين أيضا وهما: بحث قول الصحابي وبحث الأخبار.
 - الجمع بين "صفة المفتي والمستفتي" والتي بحثها الجويني في موضعين أيضا وهما: بحث شروط المفتي وبحث شروط المستفتي.
 - الفصل بين أقسام الكلام والحقيقة والمجاز وجعل الأخيرة تالية لها، رغم ادراج الجويني لهما في موضع واحد هو "أقسام الكلام".
 - الفصل بين "العام والفاظ العموم" و "بحث التخصيص" رغم ادراج الجويني لهما في موضع واحد هو "العام والخاص".
- فيبدو جليّا أنّ أساس هذا التّرتيب هو مراعاة المناسبة بين المسائل الأصولية من عدمه، ولذلك قدّم الديسي ما حقه التّقديم وأخر ما حقه التّأخير بحسب ما توصّل إليه من نظره في تلك المسائل لتكتمل صورة مباحث علم أصول الفقه في نظمه. ويكتمل معه هذا العمل البحثي.

خاتمة:

لقد تبين مما سبق أنّ أهمية التّأليف في أصول الفقه لا تقلّ عن أهميّة التّنظير لمباحثه، ونظم أصول الفقه هو توظيف للشّعور في صياغة المباحث الأصوليّة. ولا يمكن تصوّر نظم أصول الفقه على غير منهج أصلا، لأهميّة البنية المنهجية للتّأليف النّظمي في معالجة قضايا علم أصول الفقه بطريقة صحيحة يوثق بنتائجه المتوصّل إليها.

ولذلك فإن أبرز التّنتائج المتوصّل إليها، تتمثل في نتائج عامّة وأخرى خاصّة؛ يمكن حصر التّنتائج العامّة منها في ثلاثة نقاط أساسية وهي:

- التّأليف النّظمي في أصول الفقه تأليف قائم بذاته يضاهي التّأليف الثّري في كونه مصدر من مصادر علم أصول الفقه وأحد طرق حفظه.
- رسم المنهج في التّأليف النّظمي أداة عمليّة أساسيّة في أصول الفقه لتحقيق الدّقة في مضمون العلم والثّقة في التّنتائج المتوصّل إليها.
- الجدّة في التّأليف النّظمي الأصولي لا تعني بالضرّورة اختراع ما لم يسبق إليه، وإنّما يكفي خدمة ما خلفه العلماء المتقدمون والانطلاق منه في مواجهة تحديا العصر.

ومن أبرز التّنتائج الخاصّة ما يأتي:

- التزام الدّيسي بنظم المادة العلميّة لأصول الفقه في "سَلَم الوصول" كما أوردها الجويني في "الورقات" دون اخلال بالمتن وفي ذلك؛ حفظ لثوابت علم أصول الفقه عند المتقدّمين الذي يدلّ على أصالة الثّراث العلمي الأصولي الذي لا يمكن تجاوزه.
- انتظام الدّيسي في نظم "سَلَم الوصول" لجلّ مسائل علم أصول الفقه التي لا غنى عنها لطالب العلم وذلك لأنّه علم متكامل بمباحثه لا يقبل التجزئة في المراحل التّعليميّة الأولى للمبتدئين.

- نظم الدّيسي لأصول الفقه في "سَلَم الوصول" قائم على أسس علميّة وفنّيّة جديرة بالاستفادة منها في التّأليف النّظمي حتى يحقّق الغاية المرجّوة منه منها:

- اتّسام النّظم في عرض المادّة العلميّة بما يخدم موضوع أصول الفقه ووظيفته من حيث؛ توضيح معاني المصطلحات الأصولية، وإيراد الأمثلة التوضيحية من الأحكام الفقهيّة، والإشارة إلى الخلاف في بعض جزئيات المسائل المهمّة، بعيدا عن المباحث اللغوية والمنطقية والكلامية المقحمة في أصول الفقه.

- _____ منهج الديسي في نظم أصول الفقه من خلال كتابه "سلم الوصول" دراسة وصفية تحليلية
- اتّسام النظم في الأسلوب بالجمع بين الإيجاز والبيان؛ فكان مختصر الألفاظ تام المعاني. وسهولة اللفظ وحسن العبارة؛ فكان واضحاً خالياً من الغموض والتعقيد. ودقة المعنى وجمال التعبير؛ فكان متوافق المعاني حسن السبك.
 - اتّسام النظم بالدقة في ترتيب مادته، والسلاسة في تنظيم الموضوعات الأصولية لسهولة الانتقال من مبحث إلى مبحث، ومن فكرة إلى فكرة دون صعوبة أو عناء؛ الأمر الذي عزّز تحصيل الفائدة المرجوة من النظم بأقل جهد وتكلفة ودون صعوبة.
- فجاء نظم "سلم الوصول" ملبيّاً لحاجة طلاب العلم من حيث البناء المعرفي والشكلي ويحقّق مقاصد نظم أصول الفقه من حيث التّمييز والجّدّة في عرض مضمونه وأسلوبه وترتيبه وخدمة متن "الورقات" بمادته الأصيلة ليتحقّق انتفاع الأجيال المعاصرة به.
- وهنا تجدر الإشارة إلى بعض الاقتراحات والتوصيات المتّصلة بالموضوع وهي اقتراح اعتماد نظم "سلم الوصول" في التعليم الجامعي للطلاب، وحلق العلم في المساجد والمراكز العلمية؛ لما تميّز به عن منظومات سابقه من سهولة في أسلوبه، ويسر في ادراك مباحث أصول الفقه، وفهمها دون صعوبة. الأمر الذي يمكّن طلبة العلم من احتواء مادة علم أصول الفقه، والتّواصل مع متن "الورقات" دون كلفة أو عناء.
- كما نوصي بتوجيه الجهود في الدّراسات العليا لدراسة المنظومات الأصولية واستخلاص المناهج منها للحفاظ على فاعلية التّأليف النّظمي مثله مثل التّأليف النّثري بغية مواجهة مشكلة المنهج في الدّراسات الأصولية المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د/ط، 1399هـ - 1979م.
2. إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
3. إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف الجلية، استانبول، د/ط، 1951م.
4. علي بن عبد الكافي بن علي السبكي وولده تاج الدين عبد الوهاب، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، د/ط، 1416هـ - 1995م.
5. الحسن بن عبد الله العسكري، معجم الفروق اللغوية، تح: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ.
6. خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2002م.
7. السيد أحد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط27، 1389هـ - 1969م.
8. عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ - 1988م.
9. عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ - 1999م.
10. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م.
11. عبد العزيز بن عبد الله بن علي النملة، منظومات أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1433هـ - 2012م.
12. عبد الفتاح محمد العيسوي، وعبد الرحمن محمد العيسوي، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية، د/ط، 1996/1997م.
13. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1422هـ - 2001م.
14. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م.
15. عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.
16. عبد الله بن نجاح آل طاجن، تهذيب سلم الوصول إلى الضروري من الأصول، 1434/12/18هـ - 2013/10/23م، <https://www.alukah.net/sharia/0/61593/#ixzz79dCdjm1n>
17. عمر بن قينة، الديسي حياته وأثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د/ت.
18. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981م.
19. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
20. محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م.
21. محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
22. محمد بن عبد الرحمن الديسي، النصح المبذول لقراء سلم الوصول، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1423هـ - 2003م.
23. محمد بن عبد الرحمن الديسي، سلم الوصول إلى الضروري من الأصول، جمع واعداد وتحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1440هـ - 2019م.
24. محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، بدير فونتانة، الجزائر، د/ط، 1324هـ - 1906م.
25. محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركائه، ط3، د/ت.
26. محمد عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأبواب ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.
27. مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1998م.